التراث العربي

مجلّة فصلية محكّمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

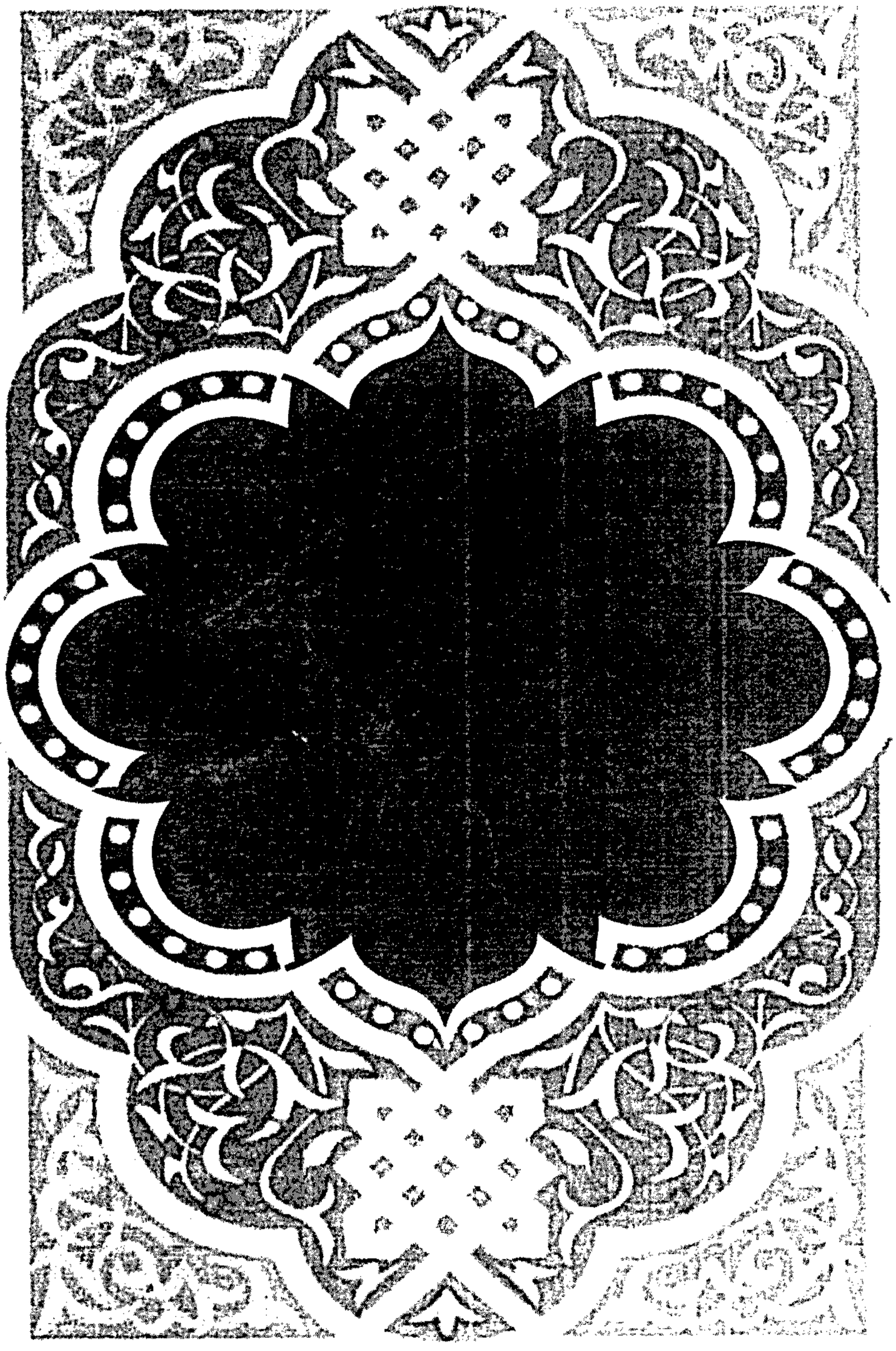

مجلّة التراث العربي فصلية محكّمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العددان ١١٧–١١٨ ربيع الأول – جمادى الآخر ١٤١٣هـ/ آذار – حزيران ٢٠١٠م السنة الثلاثون

الشّعر الأندلسيّ وثيقة تاريخيّة «شعر ابن فُركون الأندلسيّ (ق٩هـ) نموذجًا»

قاسم القحطاني(*)

الملخّص

يسعى هذا البحث إلى إبراز قيمة شعر ابن فركون الأندلسي التاريخية الوثائقية، فقد عاش الشاعر في نهاية القرن الثامن الهجري وبداية القرن التاسع، وشهد ما جرى في هذه المرحلة من أحداث سياسية واجتماعية في غرناطة، وانعكس هذا كله في شعره، في حين سكتت عنه كتب التاريخ، ليأتي شعر ابن فركون فيوثق هذه المرحلة بنصوص كثيرة، يشير في التقديم لها إلى المناسبة التي نظمها فيها، ويحدد من خلالها كثيرا من التواريخ، ويذكر عددا من الأسماء والأماكن، ليصير شعره من خلال هذا كله وثيقة تاريخية مهمة.

مدخل:

اهتمّ الباحثون، عربًا ومُستشرقين، بتراثنا الأندلسيّ، وقدّموا كثيرًا من الدّراسات والأبحاث، التي أسهمت في إضاءة جوانب منه كانت مجهولة. ومع ذلك فإنّ مراحلَ من هذا التّراث لم تنل حقّها من الدّراسة والبحث، ومنها عصر مملكة غرناطة (٦٣٥هـ/١٢٣٨م _ ٨٧٩هـ/١٤٩٢م)، الذي اصطبغت حقب منه بالغموض والاضطراب، وذلك بسبب إهمال الباحثين لها، أو اعتمادهم على مصادر أجنبيّة يُشكّ في موضوعيّة

(*) باحث سوري.

أصحابها وأمانتهم العلميّة، وقد يكون ضياع المصادر الأندلسيّة الغرناطيّة أو تأخّر ظهورها سببًا في هذا الغموض والاضطراب. وهذا الأمر أَخْمَلَ ذِكْرَ كثير من أعلام ذلك العصر، وحَكَمَ على الفكر والأدب فيه بالخمول والانهيار.

واستمرّت الحال على ما هي عليه، حتّى جاد الزّمان بمخطوطات بدأت تتكشّف معها غوامض المرحلة، ومن هذه المخطوطات مجموع شعريّ، كان في طيّ العدم، ولم تُشر إليه المصادر التي بين أيدي الباحثين. هذا المجموعُ هو ديوان الشّاعر الأندلسيّ الغرناطيّ أبي الحُسين بن فركون، شاعر البلاط النّصريّ في عهد الملك يوسف الثّالث (ت ٨٢٠هـ).

كان ابن فركون شاعر الملك النصري يوسف الثّالث وكاتب سرّه، والذي شَهِدَ معه ما حدث في زمنه، من تحوّلات سياسيّة واجتماعيّة مهمّة، سارت بها إلى نهايتها، وانعكس ذلك كلّه في سير حياته، وإنتاجه الأدبيّ.

وشعر ابن فركون مادّة غنيّة جديرة بالدّراسة، وله قيمة أدبية وأخرى تاريخية وثائقية، وتأتي هذه المقالة لتبرز قيمته التّاريخيّة الوثائقيّة، إذ يعدّ ديوان ابن فركون حلقة مهمّة في سلسة المصادر، التي تجلو بوضوح، مرحلة مضطربة من مراحل مملكة غرناطة.

شعر ابن فركون الأندلسيّ وثيقة تاريخية:

كانت لغرناطة، منذ قيامها، علاقاتٌ مع جيرانها القشتاليّين والمغاربة، ولم تنتظم هذه العلاقات بين الجيران، ولم تتخذ منذ قيامها شكلا واحدًا، بل اضطربت بين حرب وسلم وصلح وهدنة، ولم تستقرّ أمورها على حال واحدة، ولم تخفَ مطامع الدّولتين بمملكة غرناطة، وظلّتا مُتحيِّنَتين الفرصة للنّيل منها والإيقاع بها(١).

وقد عمّت الأندلس خلال المئة الثّامنة، أحداث مواجهة بين المسلمين والنّصارى، منها ما سجّله التّاريخ ومنها ما أهمله، إضافة إلى ما شهدته تلك المرحلة من علاقات مع دول الشّمال الإفريقيّ، وأحداث داخليّة لها أهمّيّتها البالغة في تحريك سياسة البيت النّصريّ، ونتائجها التّاريخيّة.

وأسهم الشّعر في توثيق الأحداث المهمّة التي عاشتها غرناطة، ورصد كثيرًا من مواقفها(٢).

---

(١) انظر: مظاهر الحضارة في مملكة غرناطة: الطّوخي، ص٣١، ودراسات في تاريخ المغرب والأندلس: العبادي، ص٤٤٦-٤٤٧، والتّاريخ الأندلسيّ: الحجّي، ص٥٣٥، وما بعدها.

(٢) انظر: ديوان ابن الخطيب: ابن الخطيب، تحقيق مُحمّد مفتاح، ٥٣/١ وما بعدها، ديوان ملك غرناطة: يوسف الثّالث، المُقدّمة، ص (غ)-(ل)، وابن الجيّاب: النّقراط، ص١٥٢-١٥٣، وابن زمرك: الحمصي، ص١٤٤-١٤٥، وملك غرناطة يوسف الثّالث: يازجي، ص١٢٣، وما بعدها.

وكان لشعر ابن فُركون نصيب وافر من هذا الإسهام، فغدا وثيقة تاريخيّة وسياسيّة مهمّة، ترصد الأحداث التي عاشها ابن فُركون في كنف الملك يوسف الثّالث، فقد سجّل الوقائع الحربيّة والمنافسات السّياسيّة، التي جرت بين ملك غرناطة وبين المغاربة والقشتاليّين.

ولم يكن ابن فُركون بعيدًا عن حياة غرناطة السّياسيّة، بل إنّه كان في خِضمّها، يعايشها ويرصد مواقف منها، ويصوّر جوانب من حياة قطب الرّحى فيها، وهو يوسف الثّالث الذي قرّب شاعره، وولاّه خطّة الغزاة في عام ٨١١هـ[1].

وفي قصائد ابن فُركون إشارات مهمّة تزيد التّاريخ وضوحًا وتفصيلاً، وتتدارك أحيانًا ما أهمله من حقائق ومعلومات دقيقة، وهو ما يؤكّد القيمة التّاريخيّة للقصيدة الشّعريّة، ويجعل وضعها في عداد الوثائق التّاريخيّة المُساعِدة، أمرًا غير قابل للاعتراض، بل قد يتوافر من الأسباب، ما يجعل القصيدة وثيقة أصيلة في موضوعها.

ويبدو من شعر ابن فُركون، أنّ غرناطة كانت على أُهبة الاستعداد، لمواجهة أيّ خطر يهدّد سلامة أراضيها، وكان لها جيشها المُستعدّ دائمًا للدّفاع عنها، وكان يوسف يستعرض قوّاته باستمرار، وهذا من إشارة الشّاعر في قصيدة له مَدَحَ فيها يوسف الذي حلّ بمالقة عام ٨١١هـ، واستعرض الجيش فيها، فقال ابن فُركون في مطلعها[2]:

بُـدُورٌ بِـأُفْقِ المُلْـكِ راقَ طُلُوعُهـا فَمـالَقَةٌ قَـدْ أَشْرَقَـتْ وَرَبُوعُهـا

وممّا قاله ابن فُركون هذه القصيدة، مُشيرًا إلى استعراض يوسف جيشَه المرابطَ في مالقة[3]:

وَوافَتْ إِلى المَيْـزِ الـسَّعِيدِ وُفُودُهـا فَراقَتْ عَلى تِلْـكَ البِطـاحِ جُمُوعُهـا

وَناصِـرُ دِيـنِ اللهِ يَطْلُـعُ وَجْهُـهُ كَشَمْسِ الضُّحى يُعْشِي العُيُونَ طُلُوعُها

ولا يتّخذ هذا الشّعر الطّابعَ التّسجيليّ المباشر، إنّما فيه من الفنّ ما يُظهِره بصورة فنيّة رائقة، فهو غنيّ بالصور الفنيّة «مالقة أشرقت وربوعها»، و«يطلع وجهه كشمس الضّحى»، التي تبعث فيه الحركة والحياة، بما يوظّفه الشّاعر من علاقات مجازيّة بين الأشياء.

وكانت زيارة يوسف هذه لمالقة واحدةً من زيارات عدّة، كان يطوف فيها أرجاء مملكته. ولابن فُركون قصيدة أخرى أنشدها في عام ٨١٩هـ، وهو بين يَدَي الملك، «وتضمّنت

---

(١) ديوان ابن فُركون، ص١٢٤.

(٢) السّابق ، ص١٢٠.

(٣) السّابق، ص١٢١.

وصفَ المَيْز وعَرْضِ جُنده قبل العيد، وما تَظاهَر به من السّلاح والخيول والعُدَد»[1]، وفي هذا ما يشير إلى استعداد يوسف الدّائم، لأيّة مواجهة.

كان هذا الاستعداد ضرورة، يفرضها موقع غرناطة بين جيرانها وعلاقاتها بهم، وقد ورث يوسف عرش غرناطة، وسعى إلى المحافظة عليه من الانهيار، «وذلك بمحاربة المغاربة الطامعين بغرناطة، ومصالحة القشتاليّين في أغلب الأحيان، لدرء خطرهم عن المملكة، فبهذه السّياسة الحَذِقة، استطاع أن يطيل عمر مملكته، المُهدَّدة بالسّقوط والانهيار»[2].

كانت سياسة يوسف الثّالث تجاه قشتالة، تتراوح بين الحرب والسّلم والمجاهدة والمهادنة، فقد اعتلى عرش غرناطة في أعقاب هدنة، عقدها سَلَفه مع فرناندو عمّ ملك قشتالة خوان الثّاني والوليّ عليه، والذي سيصبح ملكًا على أرغون أيضًا، وهو يُدعى في شعر يوسف وشعر ابن فركون بـ(الإفنْت AL INFANTE)، ومعناها الولد، وهو اصطلاح أندلسيّ مغربيّ يُطلق على المُرشّح لوراثة الملك[3].

وكان هذا الإفَنْت قد استولى قبل الهدنة على حصن الصّخرة في ناحية رُنْدة، ولَمّا بويع يوسف الثّالث كان أوّل أمرٍ باشره هو أمر الهدنة، وفي الأشعار التي قِيلت في تهنئة الملك بمناسبة اعتلاء عرش المملكة، وفي المناسبات التي تلتها، ما يشير إلى قضيّة الهدنة وتعدّد الرّأي فيها[4]، وقد توزّع الرّأي بين الجهاد والمهادنة، وكان رأي ابن فُركون اتّباعَ سياسة المهادنة والمصالحة، فقال[5]:

تَأْتِي وُفُودُ الرُّومِ تَخْطُبُ سَلْمَهُ ... فَيَكُفُّ كَفَّ القَادِرِ المُتَعَفِّفِ

وَوَلِيُّهُمْ يَخْشى فَيُرْدِفُ رُسْلَهُ ... إِرْسَالَ جَيْشٍ بِالمَلائِكِ مُرْدَفِ

أَعِدِ الجَوابَ بِهَا عَلى ظَمَأٍ لَهَا ... تَنْقَعْ جَوى المُتَشَوِّقِ المُتَشَوِّفِ

وَاجْنَحْ إِلَيْهَا مُنْعِمًا مُتَفَضِّلاً ... لا زِلْتَ أَكْرَمَ وَاهِبٍ مُتَعَطِّفِ

---

(١) ديوان ابن فُركون ، ص٣٧٥.

(٢) ملك غرناطة يوسف الثّالث: يازجي، ص٢٨.

(٣) انظر: ديوان ابن فُركون، المقدّمة، ص٦٠، ١٥٧، ومظهر النّور، ص١٦، وديوان يوسف الثّالث، ص٢٧.
وقد وردت هذه الكلمة اللّغة الإنكليزيّة «Infant»، وفي اللّغة الفرنسيّة «Enfant»، وهي بمعنى الطّفل أو الصّبيّ، أو الولد. انظر: Oxford Wordpower Dictionary, Oxford University Press,٢٠٠٦,p.٤٠٦.، وقاموس المنهل: جبّور، وإدريس، ص٣٨٤.

(٤) انظر: ديوان ابن فُركون، المقدّمة، ص٦١-٦٢.

(٥) السّابق، ص١٣٠.

كان هذا رأي ابن فُركون، أمّا رأي الملك نفسه، فقد أعلن أن لا سبيل سوى الجهاد، فقال[1]:

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الثُّغُور تَخَلَّتْ ... فَهْيَ صِفْرٌ مِنَ الكُماةِ الحُماةِ
وَأُناسٍ عَلَى المَعاصِي جهارًا ... قَدْ أَباحُوا حَرِيمنا لِلْعُداةِ
لَسْتُ لِلصَّيْدِ مِنْ خَلائِفِ نَصْرٍ ... يَوْمَ أَهْنا بِسَلْمِ تِلْكَ العُتاةِ

ويُفهم من المدائح التي قِيلت أنّ الإفنْت هو طالب الهدنة، كما يُفهم من شعر يوسف أنّ الإفنْت تلكّأ في الاستجابة، ثمّ انقاد بعد إباء.

وفي ديوان ابن فُركون، وديوان الملك يوسف الثّالث، أخبارٌ وأشعارٌ في هذا الموضوع، ومنها الإشارة إلى الحملة التي قادها شقيق الملك الأميرُ عليّ معزّ الدّولة، مُتوجّهًا إلى شُقورة في أرض أرغون في عام ٨١٢هـ، فقد رَفعَ ابنَ فُركون إلى الملك قصيدةً، هنّأه فيها بالنّصر الذي حقّقه الأمير معزّ الدّولة، وصوّر فيها لقاءه بالإسبان، والبلاء الحسن الذي أبلاه، حتّى تحقّق له النّصر عليهم، وممّا قاله في هذه القصيدة[2]:

لَمَّا الْتَقى الجَمْعانِ فِي أَرْضِ العِدا ... وَرَمَيْتَ جَمْعَهُمُ بِبَأْسٍ مُعْجِلِ
نادى بِأَبْطالِ الجِهادِ أَلا اقْدُمُوا ... وَأَجالَ فِيهِمْ نظْرَةَ المُتَأَمِّلِ
فَتَسارَعُوا ... إِلى داعِي الهُدى ... وَالرُّومُ عَنْ سُبُلِ النَّجاةِ بِمَعْزِلِ[3]
ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَرْضُهُمْ فَتَوَقَّفُوا ... وَالمَاءُ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي الجَدْوَلِ
وَتَجَمَّعَتْ فِرَقُ العِدا ثُمَّ انْثَنَتْ ... ما بَيْنَ مُنْهَزِمٍ وَبَيْنَ مُجَدَّلِ
شالَتْ نَعامَتُهُمْ سَرِيعًا بَعْدَ ما ... وَقَفُوا وُقُوفَ الخاضِعِ المُتَذَلِّلِ

وفي ديوان ابن فُركون وديوان يوسف، أخبارٌ عن دخول الغرناطيّين حصن الصّخرة[4]، وكان دخولهم هذا بكر الفتوح لعام ٨١٢هـ، فارتجل ابن فُركون بهذه المناسبة قصيدةً هنّأ الملكَ فيها، فقال[5]:

هُوَ النَّصْرُ قَدْ أَجْرى لَدَيْكَ جِيادَهُ ... هُوَ الفَتْحُ قَدْ أَلْقى إِلَيْكَ قِيادَهُ

---

(١) ديوان يوسف الثّالث، ص٢٣.
(٢) ديوان ابن فُركون، ص١٩٧.
(٣) صدر البيت في الدّيوان مكسور، ولعلّه يوزن ويتمّ معناه بإضافة «طُرًّا» أو «جَمْعًا» بعد «فَتَسارَعُوا...».
(٤) انظر: ملك غرناطة يوسف الثّالث: يازجي، ص١٢٥-١٢٦.
(٥) ديوان ابن فُركون، ص١٥٦.

أَما هَــذِهِ بِكْــرُ الفُتُــوحِ التــي بِهــا أَتى الدَّهْرُ يُدْنِي العِــزُّ مِنْــكَ بِعــادَهُ

وفي هذه القصيدة عرّض ابن فُركون بالإِفَنْت بقوله(١):

وَإِنّ إِفَنْــتَ الــرُّومِ يَجهــدُ كُلَّمــا أَراهُ المَقــامُ اليُوسِــيفِيُّ جِهــادَهُ

وأشار يوسف إلى هذه الحادثة في ديوانه(٢)، فقال(٣):

بِكْــرُ الفُتُــوحِ وَصُــنْعُ اللهِ مُرْتَقَــبُ تُمْلِــي عَجائِبَــهُ الأَيَّــامُ وَالحِقَــبُ

وَالمُلْحِدُونَ بِمــا قــالُوا وَمــا فَعَلُــوا لِلسَّيْفِ ما كَتَبُوا وَالمَحْــوِ مــا كَتَبُــوا

ولم تشر المصادر التّاريخيّة إلى هذا الحدث، بينما أشار إليه كلّ من ابن فُركون وملكــه يوسف(٤).

وليوسف الثّالث قصائد أشار فيها إلى بعض الأمور السّياسيّة، كرفض القشتاليّين للمهادنة والصّلح، وإعلانهم الحرب على غرناطة، ودخولهم أراضيها، ونشرهم الخراب والفساد فيها، فَخرَ يوسف في هذه القصائد بنفسه، وتوعّد فيها المُعتدين، فقال(٥):

أَنا اليُوسُفيُّ الصِّدْقُ لا شَــكَّ شــاهِدِي إِذا كــانَ كَيْــدُ الخــائِنِينَ خَــصِيما

سَأَتْرُكُها نَجْــلاءَ مــا الــرُّمْحُ بَعْــدَها يُغــادِرُ نَحْــرًا بِالطِّعــانِ سَــلِيما

وهدّد يوسف في هذه القصيدة مَلِكَ القشتاليّين، الذي آثر الحرب على المهادنــة والــسّلم، وعرّض بالقشتاليّين وتحدّاهم(٦)، فقال(٧):

لَئِنْ فــاتَ فِــي أَمْــسِ فَنــاءُ إِفِنْــتِهِمْ سَيَلْقى غَدًا رِجْــزَ العَــذابِ أَلِيمــا

وَسَيُحِقًّا لَهُ حَيْــثُ اسْــتُخِفَّتْ حُلُومُــهُ وَلَمْ يَرْجُ فَيّــاضَ الهِبــاتِ حَلِيمــا

وَلَــمْ يَتَّخِــذْ لِلــصُّلْحِ مِنْهــا وَسِــيلَةً يُرَضِّي مَــسِيحًا قَــصْدُهــا وَكَلِيمــا

وقد عرّض يوسف بملك قشتالة في مواضع كثيرة من ديوانه، وحذّره وأنذره من تعاليــه وبطشه، فسوف يخضع للغرناطيّين وينال مَلِكهم من القشتاليّين.

---

(١) السّابق، ص١٥٧.

(٢) انظر: ملك غرناطة يوسف الثّالث: يازجي، ص١٢٥-١٢٦.

(٣) ديوان يوسف الثّالث: ، ص٦.

(٤) انظر: ملك غرناطة يوسف الثّالث يازجي: ، ص١٢٦.

(٥) ديوان يوسف الثّالث ، ص١٥٣.

(٦) انظر: يازجي: ملك غرناطة يوسف الثّالث، ص١٢٩.

(٧) ديوان يوسف الثّالث ، ص١٥٤.

وتعالى في قصائده صوت فخره بشجاعته وشجاعة قومه، وفَخَرَ بقوّته وعزيمته وحُسن بلائه[١].

وفيما يبدو أنّ فرناندو لم يرضَ بالهدنة، ودخل أراضي غرناطة وعاث فيها، وحاصر مدينة «أنتقيرة»، فدافع أهلها عنها، وبذل يوسف جهودًا عظيمة لفكّ الحصار المضروب حول المدينة، غير أنّ ذلك كلّه لم يفلح، فقد سقطت المدينة بيد فرناندو، وكان ذلك في عام ٨١٢هـ[٢].

وفي ديوان يوسف تخميس نظمه عند نزول العدوّ على ثغر أنتقيرة[٣]، أثنى فيه على مَنِ استبسل في الدّفاع عن الثّغر، واتّهم فيه بعضهم بالتّهاون في الدّفاع، فقال[٤]:

وَيا عَجَبًا مِنْ تارِكٍ حَقَّ رَبِّهِ ... تَعرَّفَتِ البَغْضاءُ مِنْ كُنْهِ حُبِّهِ

فَلَمْ يَنْتَشِقْ روح الرِّضا مِنْ مَهَبِّهِ ... وَمَهْما دَعا داعِي الهُدى لَمْ يُلَبِّهِ

فَأَنَّى لَهُ بِالفَخْرِ وَالفَوْزِ بِالأَجْرِ

ومن القصائد التي توثّق تلك الأحداث، قصيدة في ديوان يوسف تشير إلى مواجهة مع القشتاليّين، حول حصن منتشاقر، وقعت والملك مريض في عام ٨١٤هـ[٥].

وقد وقفت حركة الجهاد، والمواجهة مع الإسبان، عند هذا الحدّ، واتجه الملك يوسف إلى تجديد الهدنة، ليتفرّغ للجبهة المغربيّة ليردّ خطرها عن بلاده[٦]. ومع ذلك ظلّ ابن فُركون يؤكّد أن يوسف سيغزو أرض الشّرك، ويحرّرها ويسترجع ما أُخذ منها، غير أن مهمّة الملك يوسف الثّالث في المحافظة على عرش غرناطة، دعته إلى إيثار الصّلح والمهادنة، فـ«سادت بين بلاط غرناطة وبلاط إشبيلية علائق المودّة والاحترام المتبادل، ولم تشهد غرناطة من قبلُ عهدًا كعهد يوسف، ساد فيه الوئام بين الأمّتين المُتخاصِمَتَين»[٧].

---

(١) انظر: يازجي: ملك غرناطة يوسف الثّالث، ص١٣٠.

(٢) انظر: ابن فُركون: الدّيوان، المقدّمة، ص٦٥، وعنان: نهاية الأندلس، ص١٥٣، ويازجي: ملك غرناطة يوسف الثّالث، ص٢٨، ١٢٣.

(٣) انظر: ديوان يوسف الثّالث ، ص٨٩، وابن فُركون: الدّيوان، المقدّمة، ص٦٦، ويازجي: ملك غرناطة يوسف الثّالث، ص١٢٥-١٢٦.

(٤) ديوان يوسف الثّالث ، ص٨٩-٩٠.

(٥) انظر: السّابق، ص١٥٦، وما بعدها.

(٦) انظر: ابن فُركون: الدّيوان، المقدّمة، ص٦٨.

(٧) عنان: نهاية الأندلس، ص١٥٤.

هذا ما كان من أخبار يوسف في تلك الحقبة مع جيرانه القشتاليّين، فقد وقفت حركة الجهاد ضدَّهم عند هذا الحدّ، ولم تستمرّ طويلاً، وتفرّغ يوسف بعدها لاسترجاع جبل الفتح من المغاربة، ومحاولاته المتكرّرة لتقويض عرش بني مَرِين.

والعلاقات بين بني الأحمر وبني مَرِين قديمة، تبدأ مع قيام مملكة غرناطة، وكانت تقوى أحيانًا وتضعف أحيانًا أخرى، وقد كان لبني مَرِين أثر كبير في قيام غرناطة، وكان جهادهم واحدًا من أسباب ثباتها(١). ومع ذلك فـ«إنّ ديوان ابن فُركون يرسم صورة قاتمة عن العلاقات بين الدّولتين الجارتين، وبين الملكين المُتعاصِرَين»(٢).

وكانت قضيّةُ جبل الفتح محورَ الخلاف، بين يوسف وجيرانه المغاربة، ويبدو أنّها تجدّدت في عهد يوسف هذه، حين سعى كلٌ من الطّرفين إلى السّيطرة على الجبل، للأثر المهمّ الذي كان له في الأحداث التاريخيّة والسّياسيّة لذلك العصر، فسعت أطراف الصّراع كلّها للسّيطرة عليه، «بحكم موقعه الاستراتيجيّ والجغرافيّ الهامّ، فكان مَحطّ أنظار القشتاليّين النّصارى من جهة، والمَرينيّين المغاربة من جهة أخرى، الذين حاولوا احتلاله واستلابه من الغرناطيّين، لكنّ محاولاتهم باءت بالفشل والإخفاق»(٣).

ويُفهَمُ من ديوان ابن فُركون، أنّ الصّراع على جبل الفتح بدأ بين الملكين، في عام ٨١٣هـ، ولم ينتهِ إلاّ في عام ٨١٧هـ، ففي ديوان ابن فُركون معلومات عن ثورة أهل الجبل، الذين قاموا بها في عام ٨١٣هـ، وأعلنوا تبعيّتهم للمغرب. وكان هذا العام حافلاً بالأحداث، ففيه جهّز الملكُ يوسف السّعيدَ المرينيَّ، ووجّهه في أسطول إلى المغرب ليطالب بالمُلك، في محاولةٍ منه لإسقاط حُكْم أبي سعيد عثمان.

ويبدو أنّ يوسفَ كان يخاف من أبي سعيد على مملكته، شأنه في ذلك «شأن أسلافه من قبله في خوفهم من أسلاف أبي سعيد. وجرت بينهما منافسات على جبل طارق يشير إليها الدّيوان في كثير من قصائده»(٤). وقد تكشّفت أطماع أبي سعيد في غرناطة عندما أرسل جيشًا بقيادة أخيه عبد الله بن أحمد المعروف بسيدي عبّو، إلى جبل طارق لاحتلاله بدعوى سَأم أهل الجبل من طاعتهم لبني الأحمر أصحاب غرناطة، وقد «تحقّقوا بأنّ المَرينيَّ أقوى منه شوكة، وأقدر على تخليصهم ممّا عسى أن ينالهم به الإصبنيول من حصار ونحوه، فبعثوا إليه يخطبون ولايته، ويعرضون عليه الدّخول في طاعته، إن هو أمدّهم بما يدفعون به في

---

(١) انظر: الحجّي: التّاريخ الأندلسيّ، ص٥١١، ٥١٩-٥٢٠، ٥٣٦ وما بعدها.

(٢) ابن فُركون: الدّيوان، المقدّمة، ص٧٠.

(٣) يازجي: ملك غرناطة يوسف الثّالث، ص١٢٨.

(٤) ديوان يوسف الثّالث ، المُقدّمْة، ص (غ).

نحر ابن الأحمر»[1]، ولاقت هذه الفكرة قبول أبي سعيد، فسارع إلى تنفيذها بإرسال جيش بقيادة أخيه عبد الله، غير أنّ محاولته هذه باءت بالفشل[2].

ولم يكن يوسف غافلاً عمّا يُحاك له، فاستعدّ لهذا الأمر، وجهّز جيشًا يُرابط عند الجبل، وأشار ابن فُركون في ديوانه إلى المحلّة الغرناطيّة التي ظلّت محاصرة الجبل منذ عام ٨١٣هـ، إلى عام ٨١٧هـ، وقد انتقل يوسف مرارًا من غرناطة إلى الجيش المُرابط، وكان أخوه عليّ معزّ الدّولة، هو الذي دخل الجبل واستردّه بعد حصار برّيّ وبحريّ[3]، فصاغ ابن فُركون مِدحة هنّأ فيها الملك، «عند وصول البشير من السّيّد الأمير أبي الحسن، وصل الله عزّه، بدخوله جبلَ الفتح عَصَمَه الله»[4]. وصفه ابن فُركون وصفًا مفصّلاً ونوّه بشجاعة معزّ الدّولة، وهنّأ مليكه بهذا الفتح، فقال[5]:

تَجَلَّى صَبَاحُ الفَتْحِ مِنْ جَبَلِ الفَتْحِ ... فَهُنِّئْتَها بُشْرى تَجِلُّ عَنِ الشَّرْحِ

هُوَ الصُّنْعُ صُنْعُ اللهِ حَيَّاكَ أُفْقُهُ ... بَوَكَّافِ غَيْثٍ طالَما ضَنَّ بِالنَّضْحِ

وفي ديوان يوسف عدد من القصائد، ذَكَرَ فيها حصار جبل الفتح، وفَخَرَ باسترجاعه، ويُفهَم من شعره أنّ أوّل ما استُرجِع منه هو حصن القَشْتور، وفي هذا قوله[6]:

وَسائِلْ بِها القَشْتورَ إِذْ عَزَّ مَطْلَبٌ ... فَها هُوَ مِنْ أَسْرِ السُّيُوفِ عَتِيقُ

نَهَدْنا إِلَيْهِ بَعْدَ ما هَوَّمَ الدُّجى ... وَنادى فَنَجَّيْناهُ وَهْوَ غَرِيقُ

وأكثرَ ابنُ فُركون من وصف أهل الجبل بالخيانة، وعرّض بهم في قصيدة، هنّأ فيها الملك «بحلول ركابه العليّ بظاهر مالقة، بإثر مخالفة المارقين من أهل جبل الفتح، وهي السّفرة التي أجاز فيها السّلطان السّعيد إلى الغرب، ودخل مالقة في يوم الاثنين الثّالث لشعبان عام ثلاثة عشر وثماني مئة»[7]، فقال في هجائهم والتّعريض بهم[8]:

ما جَبَلُ الفَتْحِ وَمَنْ أَهْلُهُ؟ ... إِذْ أَصْبَحُوا قَدْ كَفَرُوا الأَنْعُما

---

(١) النّاصري: الاستقصا، ٩٣/٤.

(٢) انظر: النّاصري، الاستقصا، ٩٣/٤، وديوان يوسف الثّالث ، المقدّمة، ص (ف)، ويازجي: ملك غرناطة يوسف الثّالث، ص٢٩-٣٠، ١٣٣.

(٣) ابن فُركون: الدّيوان، ص٢٠١.

(٤) السّابق، ص١٨٠.

(٥) السّابق، ص١٨٠.

(٦) ديوان يوسف الثّالث ، ص١٨٤-١٨٥.

(٧) ابن فُركون: الدّيوان، ص١٦١.

(٨) السّابق، ص١٦٢.

كَـــأَنْ بِهِـــمْ وَالـــرَّوْعُ فِـــي أَرْضِـــهِمْ ... يَـــأْبى لِـــشَمْلِ الأَمْـــنِ أَنْ يُنْظَمَـــا
كَـــأَنْ بِهِـــمْ قَـــدْ عَـــادَ مُرْتَـــابُهُمْ ... مُغْـــرًى بِمـــا أَوْلَيْتَـــهُ مُغْرَمَـــا
مُـــؤَمِّلاً مِنْـــكَ لِنَـــصْرِ الهُـــدى ... مَـــوْلًى هُمامًـــا بـــاذِلاً مُنْعِمـــا
أَيْنَ التُّقـــى وَالعَـــدْلُ وَالفَـــضْلُ مِـــنْ ... قَـــوْمٍ غَـــدا الجَـــوْرُ لَهُـــمْ مِيـــسَما؟
وَسَـــوْفَ يَكْبُـــو مِـــنْهُمُ كُـــلُّ مَـــنْ ... أَجْـــرى جِيـــادَ البَغْـــيِ أَوْ أَجْرَمَـــا

وعرّض ابن فركون بأهل الجبل في قصيدة أخرى، قالها في العام نفسه، وممّا قاله فيها[1]:

جَبَـــلُ الفَـــتْحِ قَـــدْ حَلَلْـــتَ لَدَيْـــهِ ... ذُرْوَةً قَدْ عَلَـــتْ مَكانًـــا وَجَلَّـــتْ
وَلأَهْلِيـــهِ فِـــي الخِـــلافِ نُفُـــوسٌ ... بِـــشَياطِـــينَ لِلـــضَّلالِ اسْتُزِلَّـــتْ

وصوّر في هذه القصيدة الكتائب، التي ترامت على هذا الجبل لتعيده[2]:

فَتَرامَـــتْ لَهُـــمْ كَتائِـــبُ عِـــزٍّ ... لَوْ رَمَتْهـــا يَـــدُ الزَّمـــانِ لَـــشُلَّتْ
لَـــوْ تُجـــارِي الرِّيـــاحُ مِنْهـــا جِيـــادًا ... لانْثَنَتْ عَنْ مَـــدى الـــسِّباقِ وَكَلَّـــتْ
بِهَـــوادٍ غُـــرِّ الفُتُوحـــاتِ أَهْـــدَتْ ... إِذْ أَطَلَّـــتْ جُمُوعُهُـــمْ وَأَضَلَّـــتْ

كانت مهمّة يوسف الثّانية هي التّشغيب على أبي سعيد عثمان المرينيّ، وفي هـذا شـعر كثير في ديوان ابن فركون وديوان مليكه، وهذا الشعر مؤرّخ ومـسبوق بمقـدّمات تـشرح مناسباته، وكانت أوّل إشارة إلى هذا قصيدة ابن فُركون التي هنّأ فيها الملك بوصـوله إلـى مالقة، وتجهيزه السّعيد وإرساله إلى المغرب[3].

وكانت رحلة يوسف هذه إلى مالقة ومنها إلى جبل الفتح، واحدة من رحلات يوسف إلـى جبل الفتح الذين شقّوا عصا الطّاعة، بخروجهم على ملكهم حتّى أعاده إلى سيادته.

ويبدو أن يوسف كان يعدّ العدّة لإسقاط حكم الملك المغربيّ، فشجّع كلّ حركة معادية لحكم أبي سعيد، فأيّد حركة السّعيد المناهضة لحكم أبي سعيد عثمان، وكان يوسف يأمل أن يحقّـق السّعيد نجاحًا[4].

والسّعيد هذا هو مُحمّد بن عبد العزيز بن أبي الحسن المرينيّ، الذي بويع بالمُلك بعد موت أبيه، وهو ابن خمس سنوات، غير أنّه خُلِع وغُرِّب إلى الأندلس، وعاد بعد سنوات للمطالبـة

---

(١) السّابق، ص١٦٥.
(٢) السّابق، ص١٦٥.
(٣) انظر: ابن فُركون: الدّيوان، ص١٦١.
(٤) انظر: ديوان يوسف الثّالث ، المقدّمة، ص (ك)، ويازجي: ملك غرناطة يوسف الثّالث، ص٣٠، و١٣٤.

بالمُلك ومنازعة أبي سعيد عثمان عليه[1]، دفعه إلى ذلك يوسف الثّالث انتقامًا من أبي سعيد لسعيه لاسترجاع جبل الفتح، وقبوله بيعة أهله.

جهّز يوسف حليفه السّعيدَ بالسّفن والفرسان والرّماة، ووجّهه إلى المغرب، «وقد وردت الأخبار بحلول أجفانه[2] المؤيّدة بساحل المغرب، ونزول السّلطان السّعيد ببرّ العدوة بالفرسان والرُّماة، في آخر رمضان عام ثلاثة عشر»[3]. وإلى هذا أشار ابن فُركون بقوله[4]:

رَمَيْتَ عُداةَ الدِّينِ مِنها بِفادِحٍ ... لدى مُلتقى الهَيْجاءِ يَتْرُكهُمْ صَرْعى

وكَمْ مِنْ يَدٍ بَيْضاءَ طَوَّقْتَها فَتًى ... إلى مَنْزِلِ البَيْضاءِ قَدْ أَعْمَلَ الرُّجْعى

رَمى دارَهُ البَيْضاءَ أَخْذًا بِثَأْرِهِ ... بِما قَدْ رَمى سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنٍ صَنْعا

وقال يصف السّفن[5]:

وَلِلّهِ مِنها مُنْشآتٌ قَدِ ارْتَمَتْ ... عَلى اللّجِّ رَفْعًا حِينَ أَحْكَمْتَها وَضْعا

سَرَتْ وَظِلالُ الأَمْنِ وَاليُمْنِ فَوْقَها ... فَأَحْسِنْ بِهِ مَسْرًى وَأَنْجِحْ بِهِ مَسْعى

دَرَأْتَ بِهِ فِي صَدْرِ كُلِّ مُعانِدٍ ... سِهامُ المَنايا نَحْوَهُ أُحْكِمَتْ وَقْعا

أَتَتْكَ بِها البُشْرى صَنِيعةَ مُنْعِمٍ ... حَباهُمْ بِها وِتْرًا وَعادَتْ لَهُ شَفْعا

وذكر ابن فُركون أنّ توجيه السّعيد نحو المغرب، لم يكن إلاّ نزولاً عند رغبة آل مَرِين، الذين دعوا يوسف لإنقاذهم، فما كان منه إلاّ لبّى تلك الدّعوة[6].

ونظم يوسف بهذه المناسبة قصيدةً، خاطب فيها أولياءه من بني مَرِين، ونعت فيها أبا سعيد بالشّؤم، واتّهمه بالتّعاون مع النّصارى، والتّفريط في الثّغور، ودعا أولياءه إلى تأييد حليفه السّعيد[7]:

قُومُوا إِلى نَصْرِ السَّعِيدِ حِمايةً ... فَالدِّينُ إِنْ لَمْ تَجْمَعُوهُ يُبَدَّدُ

وَتَمَكَّنُوا فِي فاسَ مِنْ عُثْمانِها ... وَاسْتَبْصِرُوا بِسَنا الحَقِيقةِ وَاهْتَدُوا

---

(١) انظر: ابن فُركون: الدّيوان، المقدّمة، ص٧٩.

(٢) الأجفان: نوع من السُّفن، وإحدى قِطَع الأسطول البحريّ الغرناطيّ، وهي نوعان: الأولى غَزويّة، والثّانية تُستخدَم لنقل الخيل. (انظر: الحياة الاجتماعيّة في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر: الدّوسريّ ، ص٢٢٧).

(٣) ابن فركون: الدّيوان، ص١٦٣.

(٤) السّابق، ١٦٣.

(٥) ابن فُركون: الدّيوان، ص١٦٣.

(٦) انظر: السّابق، ص١٦٤.

(٧) ديوان يوسف الثّالث ، ص٦٥-٦٦.

وادّعى يوسف أنّ هذا لم يكن، إلاّ لأنّ عثمان تحالف مع أعدائهم الإسبان، وتنازل لهم عن البلاد، وإلى هذا أشار فقال(١):

أَوَلَـيْسَ قَـدْ أَعْطَـى العُـداةَ بِلادَنَـا إِعْطَـاءَ مَنْ يُرْضِي الكَفُـورَ وَيُرْفِـدُ
لَمْ يَتَّقِ الرَّحْمَنَ فِـي الـوَطَنِ الـذِي مِنْ أَجْلِهِ قَدْ عَـاثَ فِيـهِ المُلْحِـدُ

توّجه السّعيد نحو المغرب، ووصل الخبر إلى يوسف أنّ السّعيد دخل مدينة تازة، وكان يوسف وقتها بظاهر جبل الفتح(٢)، فنظم ابن فُركون قصيدة، جاء فيها(٣):

وَلَقَـدْ جَـاءَتِ البَـشائِرُ حَتَّـى أَعْذَبَتْ مَـوْرِدَ الـسُّرُورِ وَأَحْلَـتْ
بِعُـلاكَ الـسَّعِيدُ مُلْـكَ أَرْضًـا لَكَ أَلْقَتْ مَـا عِنْدَهَـا وَتَخَلَّـتْ(٤)

ولم يكن السّعيد وحده في حركته هذه، فقد اشترك معه فيها ولدان له، أشار ابن فُركون إليهما في قوله(٥):

نَضَيْتَ عَلى الأَعْـداءِ مِنْـهُ مُـشَهَّرًا وَأَرْسَلْتَ مِنْ نَجْلَيْـهِ سَـهْمَيْنِ فُوَّقَـا
فَلا أَنْجَـحَ الـرَّحْمنُ مَـسْعى مُعانِـدٍ إِذا خَفَقَتْ أَعْلامُ نَـصْـرِكَ أَخْفَقَـا

وهذان الولدان هما عامر والمسعود، أمّا عامر فقد تمكّن في ذي القعدة من عام ٨١٣هـ، من فتح طَنْجة ودخول قصبتها، وذلك بوساطة السّفن الأندلسيّة، وفي هذا قال ابن فُركون(٦):

هَـذِهِ فَـاسُ الجَدِيـدُ تَـشَكَّتْ فَأَنَلْتَ الـسَّعِيـدَ مِنْهَـا اخْتِيَـارَهْ
وَابْنُـهُ عَـامِرٌ مِـنَ الرِّيـفِ يُمْـسِي عَـامِرًا رَبْعَـهُ المَنِيـعَ وَدَارَهْ

ومن المُرتجَلات في مثل ذلك، قصيدة نظمها ابن فُركون عند عودة الأجفان المنصورة من فتح طنجة، وحصول ولد السّعيد في قصبتها(٧)، ومما قاله في وصف السّفن(٨):

وَأَتَتْـكَ الأَجْفَـانُ مِنْهَـا بِبُـشْرَى كُلُّ وَجْهٍ يُبْـدِي لَهَـا اسْتِبْـشَارَهْ
وَالَّـذِي أَمَّـلَ العِنَـادَ ذَلِيـلٌ قَدْ أَبَى الدَّهْـرُ أَنْ يُقِيـلَ عِثَـارَهْ

---

(١) السّابق، ص٦٦.
(٢) انظر: ابن فُركون: الدّيوان، ص١٦٤.
(٣) السّابق، ص١٦٥.
(٤) في قوله هذا اقتباس من الآية الكريمة﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۞وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾، الانشقاق، ٣-٤.
(٥) ابن فُركون: الدّيوان، ص٢٠٣.
(٦) السّابق، ص١٦٦.
(٧) انظر: السّابق، ص١٦٦.
(٨) السّابق، ص١٦٦.

خانَهُ الـدَّهْرُ فَـارْتَقى الـذُّعْرُ مِنْـهُ مُرْتَقًى حَطَّ فِي الـوَرى مِقْـدارَهْ

وأمّا المسعود فقد ذكره ابن فُركون في قصيدة، هنّأ فيها الملكَ بولادة أصغر أولاده، وقد وصل الخبر والملك في مالقة[1]، وممّا قاله فيها[2]:

وَقَبْلَـهُ وافَـتِ الأَجْفـانُ مُهْدِيَـةً بُشْرى بِها فَوْقَ لُجِّ البَحْرِ قَـدْ سَـبحَتْ

بُشْرى أَتَتْـكَ مِـنَ المَـسْعُودِ قائِلَـةً هَذِي الصِّفاحُ دَمَ الأَعْداءِ قَـدْ سَـفَحَتْ

فَمِنْ مَطـالِعِ أَنْـوارٍ بِهـا اتَّـضَحَتْ وَمِنْ مَيادِينِ آمـالٍ بِهـا انْفَـسَحَتْ

وكان يوسف يرمي من وراء هذا كلّه، أن يتغلّب السّعيدُ على فاس وعلى أبي سعيد، ويبعثه مقيّدًا إلى غرناطة، وفي هذا قال يوسف[3]:

حَيْـثُ عُثْمـانُ قَـدْ غَـدا قـارِعًـا سِـنَّ نـادِمِ

عَـنْ قَرِيـبٍ يَزُورُنـا فِـي قُيُـودِ الأَداهِـمِ

كان يوسف يأمل أن يحقّق السّعيد انتصاره، غير أنّ السّعيد لم يحقّق ما كان يوسف يتمنّاه، فقد لحقت بالسّعيد هزيمة بظاهر فاس واختلف أتباعه، فخاب أمل يوسف، وقد أشار ابن فُركون إلى هزيمة السّعيد في عيديّة وجّهها إلى يوسف، فقال[4]:

وَكَيْفَ تَدْفَعُ عَنْ فـاسٍ أُسُـودُ وَغًـى وَمـا مَرابِـضُهـا إِلاَّ مَرابِعُهـا

إِنْ أَجْفَلَتْ فِئَةُ التَّوْحِيدِ هـا هِـيَ قَـدْ عادَتْ تُنازِلُ فِيها مَـنْ يُنازِعُهـا

وَقـائِعٌ مَحَّـصَ اللهُ العِبـادَ بِهـا حَتَّى تَبَيَّـنَ عاصِيهـا وَطائِعُهـا

إِنْ كانَ ضُيِّعَ حَـزْمٌ عِنْـدَما افْتَرَقَـتْ فَإِنَّ جُـودَكَ حامِيهـا وَجامِعُهـا

ويبدو أنّ أبا سعيد قد رغب في صلحٍ، يعقده يوسف بينه وبين السّلطان السّعيد على قسمة البلاد الغربيّة بينهما، ولم يكن أمام يوسف إلاّ أن استجاب لطلب الصّلح[5]، فأنشد ابن فُركون الملكَ عيديّة، ألـمّ فيها بذكر هذا الصّلح، فأشار إلى هذا بقوله[6]:

فَيا ناصِـرَ العَلْيـاءِ وَالمَلِـكَ الـذِي بِهِ مِلَّـةُ الإِسْـلامِ كُفَّـتْ عُداتُهـا

---

(١) انظر: ابن فركون: الدّيوان، ص١٧٤.

(٢) السّابق، ص١٧٥.

(٣) يوسف الثّالث: الدّيوان، ص١٤٧.

(٤) ابن فُركون: الدّيوان، ص٢١٠.

(٥) ابن فُركون: الدّيوان، ص٢١٣.

(٦) السّابق، ص٢١٥.

تَرُومُ مُلُوكُ الأَرْضِ شَأْوَكَ فِي العُــلا ... وَقَدْ قَصُرَتْ عَنْ نَيْلِـــهِ خُطُواتُهـــا
وَلَمَّا تَوالَتْ فِتْنَــةُ الغَــرْبِ وَاعْتَــدَتْ ... عَلى أَهْلِه فِي كُـــلِّ حَــيٍّ طُغاتُهـــا
وَما اتَّفَقَتْ إِلاَّ عَلَــى صُــحْبَةِ الــرَّدى ... كَمــا اخْتَلَفَــتْ آراؤُهـــا وَلُغاتُهـــا
دَعَتْــكَ لِعَقْــدِ الــسِّلْمِ بَــيْنَ مُلُوكِهــا ... أَكارِمُ حَــيٍّ فِــي يَدَيْــكَ حَياتُهـــا
فَأَصْــدَرْتَ لِلأَمْــلاكِ مِنْــكَ أَوامِــرًا ... إِذا نُطِقَتْ فِي الحَفْلِ طالَ صُماتُهـــا[1]

والظّاهرُ أنّ صلحًا آخر عُقِدَ بين الملكين يوسف وأبي سعيد[2]، فنظم يوسف بهذه المناسبة قصيدة، قال فيها[3]:

هِــيَ بُــشْرى دَعَــتْ جَمِيــعَ العِبــادِ ... لِلتَّمــادِي عَلَــى صَرِيــحِ الــوِدادِ
قَــدُمَتْ خَيْــرَ مَقْــدَمٍ بَعْــدَ جَهْــدٍ ... فَاسْتَقَلَّــتْ بِهــا رُسُــومُ الجِهــادِ
وَفَضَــضْنا خِتامَهــا عَــنْ كِتــابٍ ... صــادِرٍ عَــنْ يَــدٍ وَغُــرٍّ أَيــادِ

غير أنّ مبلغ هذا الصّلح من الصّدق غيرُ معروف، وغيرُ معروف كذلك مــا آل إليــه، فليس في ديواني الشّاعرين ما يشير إلى ذلك.

وبقي في ديوان ابن فُركون إشارته إلى وفادة بني مَرين على الملك يوسف، فــي عيديّــة الفِطْر من عام ٨١٦هـ[4]، فقال[5]:

يــا ناصِــرَ الــدِّينِ الــذِي أَمْداحُــهُ ... يَهْدِي وَيُهْــدى قَــصْدُها وَقَــصِيدُها[6]
وَقَفَــتْ بِبابِــكَ مِــنْ مَــرِينٍ أُسْــرةٌ ... طَوْعَ الوَفاءِ، فَمــا تُــضاعُ عُهُودُهــا
وافَتْــكَ لا تَثْنِــي أَعِنَّــةَ سَــيْرِها ... وَرَجاؤُهــا، إِذْ يَمَّمَتْــكَ، يَقُودُهــا
فَأَنَلْتَ ما شــاءَتْ مِــنَ الــنِّعَمِ التِــي ... يُرْجى، وَإِنْ عَظُمَتْ لَــدَيْكَ، مَزِيــدُها

وأشار ابن فُركون إلى هذه الوفادة، أو وفادة أخرى غيرها، في عيديّة الأضحى من العام نفسه، والتي أنشدها الملكَ «بالمشْوَر السّعيد من حمرائه العليّة، وقد ورد على بابــه الكــريم

---

(١) ضبطَ مُحقّق الدّيوان صدر البيت كالآتي: «فأصْدَرَتْ...»، وهذا خطأ بيّنٌ، والصّواب ما أثبتُه، وبه يُــضبَط الــوزن، ويــتمّ المعنى.

(٢) انظر: ابن فُركون: الدّيوان، المقدّمة، ص٨٣-٨٤، ويازجي: ملك غرناطة يوسف الثّالث، ص١٣٩.

(٣) يوسف الثّالث: الدّيوان، ص٥٠.

(٤) انظر: ابن فُركون: الدّيوان، المقدّمة، ص٨٤، و٢١٩.

(٥) السّابق، ص٢١٩.

(٦) جاء في الدّيوان «وَيَهْدِي وَيُهْدى...»، وبه يُكسر وزن البيت.

جملة وافرة من أكابر بني مرين، وسواهم من القبائل، بعد الحادثة على السّلطان السّعيد، لائذين بعزّ جنابه مُتمسّكين بأوثق أسبابه، فأولاهم أيّده الله مواهب أنعمه، وآواهم، ووفّر نزلهم عند وفادتهم، وكرّم مثواهم، فاطمأنّت بهم الدّار، وقرّ بحضرته القرار»[1]. فقال يشير إلى هذا[2]:

كَواكِبُ عِزٍّ فِي ذُراكَ حُلُولُها ... تَلُوحُ وَلَكِنْ لَيْسَ يُخْشى أُفُولُها

وَجاءَتْ مَرِينُ مِنْ أَقاصِي بِلادِها ... فَكانَ لَدى مَوْلى المُلُوكِ حُلُولُها

تَحُلُّ مَطاياها بِها مِنْ جَنابِهِ ... مَنازِلَ عِزٍّ لَيْسَ يَشْقى نَزِيلُها

ويبدو أنّ أسباب الخلاف بين الملكين قد انتهت، ومع ذلك فقد ظلّ يوسف الثّالث يستقبل وفود المرينيّين اللاّجئين إليه، كما أنّه ظلّ يتدخّل في شؤون العدوة المغربيّة[3]، واستمرّ في محاولاته لإسقاط حكم خصمه أبي سعيد، وكان آخرها في مرضه الأخير وقبل وفاته بأيّام[4].

لقد كان لهذا الصّراع بين الملكين أثره الكبير في إضعاف الدّولتين، وتسبّب بضياع كثير من مدنهما[5]، فقد استولى القشتاليّون على أَنْتقيرة واستولى البرتغاليّون على سَبْتة[6]، ولعلّ هذا كان سببًا في ضعف الدّولة المرينيّة، وانحدار مملكة غرناطة نحو السّقوط.

وخلاصة القول أنّ الشّعر وثّق الأحداث السّياسيّة المهمّة في غرناطة، وكان لابن فُركون نصيب وافر من هذا الشعر، رصد فيه الحياة السّياسيّة في حقبة ضنت بها المصادر، وفي هذا تظهر القيمة التّاريخيّة لديوان ابن فُركون، حول حقبة دقيقة وغامضة من تاريخ المغرب والأندلس، وذلك بسبب ضياع مصادرها الأصليّة.

---

(١) ديوان ابن فُركون، ص٢٢٠.

(٢) السّابق، ص٢٢٠.

(٣) انظر: السّابق، المقدّمة، ص٨٤-٨٥، ٣٧٤-٣٧٥، ٣٨٧.

(٤) انظر: ديوان ابن فُركون، ص٣٧٩.

(٥) انظر: السّابق، ص٧٠-٧١.

(٦) انظر: السّابق، ص٨٧، وص٣٣١.

المصادر والمراجع:

ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: أحمد بن خالد النّاصريّ (ت ١٣١٥هـ)- تحقيق جعفر ومُحمّد الناصريّ - الدّار البيضاء - دار الكتاب- ١٩٥٤م، ٩أجزاء.

ـ ابن الجيّاب الغرناطيّ حياته وشعره: مُحمد عليّ النّقراط - ليبا - الدّار الجماهيريّة للنّشر والتّوزيع والإعلان - ط١، ١٩٨٤م.

ـ ابن زمرك الغرناطيّ سيرته وأدبه: أحمد سليم الحمصي - بيروت - مؤسّسة الرّسالة - ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ـ التّاريخ الأندلسيّ من الفتح حتّى سقوط غرناطة: عبد الرّحمن علي الحجّي - دمشق - دار القلم- ط٥، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ـ الحياة الاجتماعيّة في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر: أحمد ثاني الدّوسريّ - أبو ظبي - المجمع الثّقافيّ - ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

ـ دراسات في تاريخ المغرب والأندلس: أحمد مختار العبادي - الإسكندريّة - مؤسّسة شباب الجامعة- ١٩٨٩م.

ـ ديوان ابن الخطيب: لسان الدّين مُحمّد بن عبد الله السّلمانيّ اللّوشيّ (ت٧٧٦هـ) - تحقيق مُحمّد مفتاح - الدّار البيضاء - دار الثّقافة - ١٩٨٩م، جزآن.

ـ ديوان ابن فُركون: أبو الحُسين بن فُركون (ق٩هـ) - تحقيق مُحمّد بن شريفة - الرّباط - أكاديميّة المملكة المغربيّة- ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ـ ديوان ملك غرناطة يوسف الثّالث: يوسف بن يوسف بن الأحمر (ت٨٢٠هـ) - تحقيق عبد الله كنّون - تطوان - معهد مولاي الحسن، ١٩٥٨م.

ـ قاموس المنهل: جبّور عبد النّور، وسهيل إدريس - بيروت - دار العلم للملايين - ط٧، ١٩٨٣م.

ـ مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر: أحمد مُحمّد الطّوخي - الإسكندريّة - مؤسّسة شباب الجامعة - ١٩٩٧م.

ـ مظهر النّور الباصر: أبو الحُسين بن فُركون (ق٩هـ) - تحقيق مُحمّد بن شريفة - الدّار البيضاء - مطبعة الصّباح الجديدة- ١٩٩١م.

ـ ملك غرناطة يوسف الثّالث حياته وشعره: سراب يازجي - رسالة ماجستير - جامعة دمشق، ١٩٩٠م.

ـ نهاية الأندلس وتاريخ العرب المُتنصّرين: محمّد عبد الله عنان - القاهرة - مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنشر- ط٣، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- Oxford Wordpower Dictionary, Oxford University Press

السّيرة الذّاتيّة

١- البيانات الشّخصيّة:

- الاسم: **قاسم مخلف القحطانيّ**.
- تاريخ الولادة: **١٩٧٥م**.
- الجنسيّة: **عربيّ سوريّ**.
- محلّ الإقامة: **دير الزّور**.
- الدّيانة: **مسلم**.

٢- المؤهّلات العلميّة:

الشّهادة	الجامعة	التّاريخ	التّقدير
• باحث دكتوراه في الأدب العربيّ	دمشق	.....	.....
• ماجستير في الأدب العربيّ	دمشق	٢٠٠٨م	جيّد جدًّا
• دبلوم الدّراسات العليا الأدبيّة	حلب	٢٠٠٠م	جيّد جدًّا
• إجازة في اللّغة العربيّة	حلب	١٩٩٧م	جيّد جدًّا

٣- الأُطروحات:

- الدّكتوراه: القيم الجماليّة في الشّعر الأندلسيّ.
- الماجستير: ابن فُركون الأندلسيّ: حياته وشعره.
- الدّبلوم: البعد الثّقافيّ في شعر صلاح عبد الصّبور.

٤- الخبرات العلميّة:

- **مدّرس** لغة عربيّة في مدارس مدينة دير الزّور، منذ عام ١٩٩٨م.
- **عضو** لجنة التّمكين للّغة العربية في مديريّة التّربية في دير الزّور.
- **محاضر** في كلّيّتي الآداب في دير الزّور والرّقّة (جامعة الفرات).
- **مساعد مدرّب** في البرمجة اللّغويّة العصبيّة **(N.L.P.)**.

٥- الأبحاث والمقالات:

- ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة (كتاب)
- الشعر الأندلسيّ وثيقة تاريخيّة (بحث)
- القائد العربيّ سعيد بن جوديّ الأندلسيّ (ت٤٨٤هـ) نموذج الشّاعر البطل في عصر الدّولة الأمويّة (١٣٨-٤٢٢هـ) (بحث)
- التّجليّات الجماليّة للمأساويّ في الشّعر الأندلسيّ في عصر الدّولة الأمويّة (مأساة السّجن أنموذجًا) (بحث)
- هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث. ٢٠١٠
- مجلّة التراث العربي، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، العددان ١١٧-١١٨، آذار-نيسان، ٢٠١٠م.
- حُكّم وقُبل للنّشر في مجلّة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانيّة، ٢٠١١م.
- حُكّم وقُبل للنّشر في مجلّة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانيّة، ٢٠١١م.

٦- العنوان الحالي:

- سورية – دير الزّور – مديرية التّربية – دائرة التّعليم الخاصّ – فاكس: ٠٥١٢٢٣٧٨١
- e.mail: kasem.qahtany@gmail.com
- جوّال: ٠٠٩٦٣٩٤٧٣٧٨٥٢٠